

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر

(دراسة تقويمية لنماذج مختارة)

أ. لطيفة عثمانى

جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة

ملخص:

إن لأدب الأطفال دور بالغ الأهمية في صناعة الجيل الناشئ صناعة تساهم في بلورة شتى نواحي شخصيته العقائدية والفكرية والنفسية واللغوية، ولقد جرى تقويم قصة الطفل - كجنس من الأجناس الأدبية المشكلة لأدب الأطفال -، كأفضل نمط اتصال وتواصل، وأحسن أسلوب تعلم، وأبرع طريقة تعليم؛ لأن أسلوبها القصصي يُعدُّ أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الطفل، لما يملكه من محاكاة لحالة الطفل نفسه؛ إذ يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، ويتفاعل معها وكأنه من شخصياتها، أو بطل من أبطالها. فقصة الطفل، لا سيما إذا توفرت فيها شروطا لتشويق والإدهاش، تمتلك من التأثير والجاذبية ما لا تبلغه أي وسيلة أخرى من الوسائل التعليمية والتربوية.

وإن هذه الدراسة تحاول، تقصي وضع قصة الطفل في الجزائر، ومدى توفرها على شروط الكتابة القصصية البناءة فكريا و فنيا، والتي تراعي الارتقاء بملكات الطفل الوجدانية والعقلية والخيالية والتربوية والتعليمية والجمالية، وذلك عبر دراسة نماذج قصصية لثلاثة مؤلفين جزائريين، متخصصين في كتابة ما يعرف بالسلسلة القصصية؛ التي تتكون من عدة عناوين ضمن السلسلة القصصية الواحدة.

Abstract:

Children's Literature has an important role to play in the formation of the younger generation's intellectual, linguistic and spiritual personality. Recently, many studies focused on its importance and necessity in shaping new concepts in the children's minds, their emotions and identity and in developing their intellectual level and their capabilities and potential.

Children's literature- as a literary genre for children- was evaluated as the one of best method of communication and learning and as an excellent method of teaching, because of its narrative style which is the most appropriate to the child's psyche. This narrative style simulates the child's state and makes him live wholly in the story's events and interact with it as one of its characters or heroes. Children's literature- especially if it fulfills the conditions of excitement and impression- has more effect and attraction than all teaching and educational tools. Thence, the present study aims at shedding light on the intellectual and aesthetic construction of children's literature and whether it fulfills the conditions of constructive narrative writing which promotes the child's emotional, intellectual, imaginative, educational, aesthetic potential through the study of three models of children's literature written by three different Algerian authors, specialized in the writing of collections of stories with different titles within the same collection.

إنّ العالم العربي والإسلامي على العموم والجزائر على وجه الخصوص، لم يرقيا بعد إلى مستوى فهم عميق وواع لما يملكه أدب الأطفال من دور بالغ الأهمية في صناعة الجيل الناشئ صناعة تساهم في بلورة شتى مناحي شخصيته العقائدية والفكرية والنفسية واللغوية، بل إنّ الدول المتطورة في برامجها ومخططاتها التربوية والتعليمية، تجعل أدب الأطفال من أهم الوسائل التي تلج من خلالها إلى عالم الطفولة من منطلق نظرة مسئولة تستشرف المستقبل، وترى في الاعتناء بالطفولة ومتابعتها متابعة جادة ومُنهجة على أسس مدروسة بإحكام، مشروع بناء متكامل الجوانب، محكم الأسس ومتراص اللبّات، ما يشكل عندها مشروع بناء رجل المستقبل.

إنّ الكثير من الدراسات الحديثة أكدت على أهمية أدب الأطفال وضرورته الحتمية في الوقت الراهن، وذلك للدور المهم الذي يملكه من ناحية صياغة المفاهيم الجديدة في عقول الأطفال وتكوين وجدانهم، وتشكيل هويتهم، وتطوير مستواهم الفكري، وتنمية قدراتهم وملكاتهم؛ فأدب الأطفال يشكل دعامة رئيسية في تكوين شخصية الطفل وكذا في توسيع نظرتة للحياة وتعميق علاقته بمقومات وطنه وأمتة

في ظلّ عصر العولمة والمعلوماتية، والتطوير التقني الهائل الذي يشهده العالم الذي جعل طفل اليوم يختلف عن طفل الأمس، خاصة بعد التغير الهائل في وسائل الاتصال الحديثة؛ إذ تغيرت كثيرا وسائط الثقافة وتنوعت تقنيات مخاطبة الأطفال على نطاق واسع امتد لكل الأجناس الأدبية المشكلة لأدهم من مسرحية وقصة وشعر، مما يضيف أبعادا جديدة ومستحدثة في ظل الكتابة الأدبية والتأليف للطفل.

ولقد جرى تقويم قصة الطفل كأفضل نمط اتصال وتواصل وأحسن أسلوب تعلم وأبرز طريقة تعليم؛ وإنها «كانت وما تزال، وسيلة هامة من وسائل تربية الطفل وتثقيفه، واحتلت مكانة بارزة بين الفنون الأدبية الأخرى، ولا سيما في العصر الحديث بعد أن زاد الاهتمام بعلم نفس الطفل وتربيته، وبرزت القصة الطفلية بقيمتها التربوية الكبرى المتمثلة في قدرتها على نقل الأفكار والقيم إلى الطفل بأسلوب ممتع وجذاب، الأمر الذي يجعلها تسهم إلى حدّ بعيد في تكوين اتجاهات الطفل الخلقية والاجتماعية والإنسانية»⁽¹⁾ ذلك أن أسلوبها القصصي يعد أقرب الوسائل التربوية إلى فطرته، لما يملكه هذا الأسلوب من محاكاة لحالة الطفل نفسه، إذ يعيش بكل كيانه في أحداث القصة وكأنه من شخصياتها أو بطل من أبطالها، فقصة الطفل - لا سيما إذا توفرت فيها شروط التشويق والإدهاش -، تمتلك من التأثير والجاذبية ما لا تبلغه أي وسيلة أخرى من الوسائل التربوية والتعليمية، وكما يقول الدكتور عبد الباسط شاكر " لو أننا قمنا بمقارنة سريعة بين أحدث المناهج التعليمية والتربوية اليوم، لوجدنا أن أكثر المناهج نجاحا في عرض الفكرة وصياغة المادة العلمية بأسلوب قصصي جذاب، هي

⁽¹⁾ -الأدب القصصي للطفل (منظور اجتماعي نفسي) - محمد السيد حلاوة - مؤسسة حورص الدولية - الإسكندرية - 2001 - د/ ط - ص 47.

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لنماذج مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى

أكثرها نجاحا وأينعها ثمارا، لأنها تكون حينئذ أحب إلى قلب الطالب وأقرب إلى فطرته وأسهل عليه حفظا وفهما، وأدعى لتلقيها بدون أي مشقة أو ملل»⁽¹⁾.

أولا- شروط كتابة قصة الطفل:

إنّ الكتابة القصصية للطفل إبداع وفن، وخيال وإمتاع، وإدهاش وتسلية، وتربية وارتقاء بملكات الطفل التربوية/ التعليمية، والوجدانية/ الشعورية، والعقلية / الخيالية، والجمالية / الفنية.. وهي بذلك ليست بالأمر السهل، وعليه «لا يجب أن يتصدى لها من لا يعرف شروطها ومعاييرها، وتنقصه الخبرة العلمية، والتربوية، والميدانية، ويفتقد إلى الحسّ الأدبيّ، والتذوق الجماليّ، فلا يظنّ كاتب أن البساطة المطلوبة في أدب الأطفال تعطيه إذن الولوج من هذا الباب ما دام يستطيع أن يصوغ حكاية أو يجري حوارا، فالأمر أعقد من ذلك، وليس بإمكان أي أحد أن يتصدى له، فالبساطة، التي هي عنوان في أدب الأطفال، هي نفسها التي تجعل أمر الكتابة في هذا المجال صعبة، وليس هناك شك في أنّ أبسط الأشكال الأدبية هو الأكثر تعقيدا على الكتابة»⁽²⁾.

فالكتابة للأطفال تتطلب من الأديب التحلي بمجموعة من الصفات تجمع بين الموهبة والحس الطفولي التي تسمح له بالتوغل إلى عالم الطفل بعفوية من دون تكلف، فضلا عن احترامه طبيعة الأسلوب الذي يكتب به للطفل؛ ففن الكتابة للطفل -ككل الفنون الإنسانية الأخرى-، يستند إلى أساسيات من الضروري توافرها في أي كاتب

⁽¹⁾- مقال: القصة في القرآن الكريم- عبد الباسط شاکر - الخميس 23 أبريل- موقع: Moltaqa-

al2jeal.mygoo.com2009

⁽²⁾-المدخل إلى أدب الأطفال - محمد جمال عمرو- دار البشير للنشر والتوزيع- عمان/ الأردن -

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لتأدج مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى

ومبدع في أدب الأطفال، منها: الموهبة والرغبة الداخلية والشعور بالرضا فضلاً عن تقديم مادة شائعة للطفل، والثقافة الواسعة في أكثر مجالات العلوم الإنسانية، ودراسات واسعة وميدانية حول الطفولة. والتعرف إلى مراحل الطفولة، ولا سيما من خلال الاحتكاك مع الطفل ومعايشته، والتعرف إلى مراحل الطفولة، وخصائصها إجمالاً، ثم معرفة خصائص كل مرحلة من حيث النمو الشامل كالنمو البدني والمعرفي بما في ذلك الجانب اللغوي والتواصلي، وكذا الاستعدادات والقدرات، من أجل أن يكون منتج الكاتب متوافقاً مع المرحلة العمرية، كما يتطلب من كاتب الأطفال أن يكون متشبعاً بقيم أمته وثوابها وغيورها على مكانتها وتاريخها، فضلاً عن اطلاعه الواسع على التراث الإنساني والوطني، للتعرف إليه أولاً، ثم غربلته وتمثّل ما هو قيم منه، فمن هذه المصادر كلها وغيرها يستقي مادته الخام ليصوغها عملاً أدبياً راقياً⁽¹⁾ يسعد الطفل به ويستفيد منه، ويعيش من خلال محتواه الأدبي الراقى التشبع الذي هو بحاجة إليه، والذي يجمع بين التعليم والامتناع، وهذا من منطلق إيمان الكاتب بضرورة الكتابة للطفل، بكل أبعادها الترفيهية والتعليمية والتربوية الأخلاقية.

هذا، ولقد أجمّل الأستاذ طلعت أبو اليزيد الهابط شروط الكتابة للطفل في النقاط المهمة التالية:

- يجب أن يتمتع كاتب الأطفال بروح الدعاية والمرح والتّواضع
- عليه أن يراعي سعة خيال الطفل فهو عالم واسع مطلق.

⁽¹⁾ - ينظر: أدب الأطفال، فن المستقبل - أنور عبد الحميد الموسى - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان - 2010 - د/ ط - ص 538.

- أن يمتلك القدرة على الكتابة المثالية الجيدة، ويطبق ذلك في كتاباته.
- التركيز في الكتابة ومراجعتها أولا فأولا، حتى يحقق هدفه المنشود فيها.
- أن يعمل على تنمية اللغة والمهارات والاستعداد الفطري لدى الأطفال، وتنمية قدراتهم في جميع المجالات.
- على كاتب الأطفال أن يستخرج من كنوز الحضارة قوماً إيجابية ينعكس أثرها الطيب على تنشئة أبناء وطنه⁽¹⁾.

هل كاتب قصة الطفل في الجزائر يراعي كل هذه الأمور-أو بعضها-ويضعها نصب عينيه وهو يؤلف للطفل؟ وهل دور النشر التي يتزايد عددها تراعي هذه المسألة الحساسة لما تأخذ على عاتقها نشر قصص أو سلسلة قصصية من عدة عناوين للمؤلف نفسه؟ وهل تهتم بالمستوى الثقافي للمؤلف ومشواره العلمي والإبداعي؟

ثانيا- دراسة تقويمية لنماذج قصصية:

للإجابة على جانب من هذه الأسئلة، سنسلط الضوء على ثلاثة أنواع قصصية للطفل في الجزائر، علماً أن كل نوع عبارة عن سلسلة قصصية؛ تدرج تحتها عدة عناوين موجهة للطفل وصادرة عن الكاتب نفسه؛ ولقد تعمدت دراسة نماذج للسلسلة القصصية، لاعتبارات ستتجلّى عبر مسار هذه الدراسة.

1/- "حكايات جدتي قبل النوم" للمؤلف ياسر خالد سلامة.

من حيث الشكل: تتكون السلسلة من ست قصص بين دفتي كتاب واحد متوسط الحجم وتقع في 40 صفحة، القصص تحمل علامات الشكل، حجم الخط

⁽¹⁾-أدب الأطفال .. لماذا؟- طلعت أبو اليزيد الهابط- العلم والإيمان للنشر والتوزيع- كفر الشيخ-

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لنماذج مختارة)..... أ. لطيفة عثمان

متوسط ورسومها غير ملونة، كما أنها غير محددة للفئة العمرية الموجه لها النصوص القصصية.

من حيث البناء الفني: إنّ الحبكة القصصية على العموم والحوار ومجرى الأحداث تتسم بالسطحية وركاكة التراكيب في الكثير من الأحيان؛ فالمؤلف لا يجهد نفسه في البحث عن أحسن الصيغ التعبيرية، بل يكتفي بسرد القصة بطريقة هي أقرب إلى القصة المحكية وليست المقروءة التي تحتاج أن تتوفر فيها شروط ومعايير جمالية وإبداعية خاصة حتى تؤدي وظيفتها على أكمل وجه.

وللتمثيل لما سبق، نورد هذا المقطع من قصة " السلحفاة الطرية" التي تنزع بيتها تأسيا ببعض الحيوانات لتتخلص من مشيها البطيء، فتعرض لمتابع وتندم، وتعود إلى الحداد وتطلب منه أن يعيد لها بيتها، وتتعهد ألا تعود إلى تغيير خلق الله. « شاهدتها سمكة القرش وهجمت عليها لتأكلها، ولكنها استطاعت الهرب منها، ورأت سلحفاة الماء

وقالت لها:

- أنا سلحفاة مثلك، أرجو أن تأخذيني إلى الشاطئ.

قالت لها سلحفاة الماء: لا، أنت لست سلحفاة، السلحفاة لها بيت، وأنت دون بيت. قالت لها السلحفاة الطرية:

- هذا صحيح، لقد خلعت بيتي وهو عند الحداد، أوصليني إلى البر لأذهب إليه وألبسه...»⁽¹⁾

⁽¹⁾-حكايات جدتي قبل النوم- ياسر خالد سلامة- جسر للنشر والتوزيع- ط1- 2011- ص67.

إنّ الملاحظ على هذا المقطع، رتابة التعبير والبساطة المفرطة المؤدية إلى الوقوع في الخلل التركيبي واللبس في المعنى، على غرار " السلحفاة لها بيت، وأنت دون بيت." كان بإمكان الكاتب تفادي التعبير المختل " وأنت دون بيت" بقوله مثلاً: لا أنت لست سلحفاة، فالسلحفاة لها بيوت وأنت لا بيت لك. في هذا البديل المقترح، استعمال جمع كلمة (سلحفاة/ سلاحف)، ما يدخل ضمن العملية التعليمية التي لا يجب أن تغيب عن وعي المؤلف، حيث يعلمهم كلمة جديدة (سلاحف)، إضافة إلى الارتقاء في التعبير...

في جملة «لقد خلعت بيتي وهو عند الحداد، أوصليني إلى البرّ لأذهب إليه وألبسه...» يوحى السياق أنّها ستلبس ما ستذهب إليه، خاصة أنّ الخطاب موجه إلى الأطفال... وبقليل من الاجتهاد، كان بالإمكان المجيء بالبديل المناسب مثل:

- لقد خلعت بيتي وهو عند الحداد، ساعديني لألتحق بالبرّ وأذهب إلى الحداد، فأسترجع بيتي وألبسه من جديد..

يعتبر التكرار في البديل المقترح: " خلعت بيتي.. فأسترجع بيتي.." وكذا على نطاق: "هو عند الحداد.. و أذهب إلى الحداد.." تكرار مفيد في هذا السياق لأنه ساهم في رفع اللبس المعنوي... كما أنّ مقارنة سريعة بين تعبيري: أوصليني إلى البرّ والبديل المقترح: ساعديني لألتحق بالبرّ.. تبين أنّ البديل أقرب إلى الفصاحة ومن شأنه أن يثري القاموس اللغوي والتعبيري لدى الطفل..

ملاحظة أخيرة حول هذه القصة التي طغى عليها عنصر الحوار بكثرة، رغم ذلك لم يستعمل الكاتب سوى كلمتي (قال وقالت)، مستغنياً عن البدائل التعليمية والمثيرة على نطاق الحوار مثل: ردّ قائلاً - سأل - أجاب،...

أما في قصة "الحطّاب والكلب الوفي"، نلاحظ غياب جمال التعبير وركاكة

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لتماذج مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى

الصيغ، ساهم في ذلك ظاهرة التكرار الحاضرة بكثرة في السلسلة القصصية؛ حيث نعدّ ما لا يقل عن عودة كلمة (الكلب) خمس مرات، وكلمة (الذئب) أربع مرات وكلمة (عندما) مرتين في فقرة قصيرة، إضافة إلى عنصر اللبس الناجم عن سوء التعبير:

«وأسرع الكلب إلى الخطاب يحذره من الذئب، ولم يكن الذئب يعرف أنّ الكلب قد كذب عليه، مشى الذئب مسافة طويلة فلم يجد الخطاب، فعاد مسرعاً إلى الكلب، وعندما شاهده قال الكلب للخطاب:

- إصعد إلى الشجرة وأنا سألتصرف مع الذئب.. وعندما اقترب الذئب من الكلب، قال له:

- لقد كذبت عليّ أيها الكلب اللعين، أليس كذلك؟. قال له الكلب:

- لا أنا لا أكذب...»¹

إضافة إلى ظاهرة التكرار الغير مفيد، نجد عبارة: وعندما شاهده.. وردت بشكل يؤدي إلى اللبس في المعنى؛ حيث لا ندري من شاهد من؟ هل الذئب هو الذي شاهد الكلب؟ أم الكلب هو الذي شاهد الخطاب؟، علماً أنّ فعل "شاهد" هنا غير مناسب، وأحسن منه فعل "رأى" تماشياً مع السياق..

ملاحظة أخيرة متعلقة بالقيمة الأخلاقية في قوله "ولم يكن الذئب يعرف أنّ الكلب قد كذب عليه.." وفي قوله "أيها الكلب اللعين.."؛ رغم أنّ الكلب كذب لينقذ صاحبه، يوحي سياق الكلام أن الكذب أضحى صفة محمودة، وهو ليس كذلك في كل الأحوال، حيث كان على الكاتب أن يتفادى مثل هذا التعبير المباشر ويأتي ببديل

¹-المصدر السابق- ص 11-12

يراعي الجانب التربوي للقصة، مثل: كان الذئب يجهل أنّ الكلب أخفى عنه الحقيقة خوفاً على صاحبه من الهلاك..

كما أنّ استعماله لكلمة (اللعين) منافية تماماً للبعدين الأخلاقي والتربوي..
القصة الثالثة في السلسلة القصصية بعنوان "البلبل الطيّار"، تسرد قصة الطائر "بلبول" الذي أصبح قادراً على الطيران لكنه بقي يعتمد على والديه فلا يبحث على طعامه بنفسه، بل يقضي وقته في اللهو واللعب..

الملاحظة الأولى بشأن القصة تخص العنوان؛ إذ لا علاقة البتة بين المضمون والعنوان، وهذا خطأ كبير من الناحيتين الفنية والفكرية، خاصة أن البديل الأنسب والأكثر جاذبية للطفل لقرّب المنال، مثل: البلبل الكسول.. بلبل يرفض البحث عن الطعام، إلخ.

هذا، كما أن الكاتب استهل قصته بهذا الشكل: «بعد أن كبر بلبول قليلاً، واكتسب جسمه بالريش، علمه أبواه الطيران..»⁽¹⁾.

نرى أن الكاتب لم يكلف نفسه عناء البحث عن مقدمة مشوقة يتعرف الطفل من خلالها على الشخصية الرئيسية "بلبول"، علاوة على أن هكذا استهلال للقصة غير مقبول فنياً..

ضعف التعبير يتجلى مرة أخرى عند الكاتب على نطاق الحوار في هذه الفقرة:
«وعندما رجع إلى البيت، وجد أمه وأباه، فقال لهما: أين كنتم؟ لقد تعبت وأنا أبحث عنكما في كل مكان. قالت له أمه: لقد ذهبنا إلى خالتك وتناولنا عندها طعام

⁽¹⁾ - المصدر السابق - ص 14.

الغذاء. قال لها: ولماذا لم تعدّي لي طعام الغذاء قبل ذهابك؟»⁽¹⁾.

نلاحظ تردد كلمة قال وقالت مرة أخرى في الحوار وغياب المصطلحات الأنسب؛ ولا شك أنه لو استعمل: فسألها، بدل: فقال لها..و: أجابته، بدل: قالت له.. يعدّ ذلك أفصح دلاليا وأجمل من حيث التعبير من باب تفادي تكرار كلمة قال وقالت..بالإضافة إلى صيغ مربكة مثل: طعام الغذاء، وتكرارها.. و عبارة: وجد أمه وأباه، بدل الصيغة الأنسب: وجد والديه...

هذا فيما يخص دراسة أعمال الكاتب ياسر سلامة الموجهة للطفل، مع الإشارة أن القصص الثلاثة المتبقية تتسم بنفس المستوى اللغوي والفني الجمالي، ويطغى عليها جميعا ضعف عنصر التشويق ورتابته.. والسؤال الذي نخلص إليه: إلى أي مدى ينتفع الطفل فكريا ووجدانيا وفنيا جماليا بهذه المجموعة القصصية؟

إن المنفعة -من خلال الدراسة النقدية للنماذج القصصية السابقة- توحى أنها -إن وُجدت-^(*)، تبدو محدودة إلى حدّ كبير من الناحية اللغوية الأسلوبية وكذا الناحية الفنية الجمالية، لتقتصر إلى حدّ ما على البعد التربوي والأخلاقي:

- قيمة الرضا بما خلقنا الله عليه.(قصة السلحفاة الطرية)

- قيمة الوفاء (قصة الكلب الوفي)

- قيمة الاعتماد على النفس (قصة البلب الطيّار)

2/ "مغامرات جحا"، هي السلسلة الثانية للكاتبة آمنة أشلي، وسأسلط

⁽¹⁾-المصدر السابق- ص18.

^(*)- في تصوري أن الكتابة للطفل عملية متكاملة الأطراف والجوانب؛ تقوم دعائمها على البناء اللغوي التعبيري الجذاب، وعنصري التشويق والإدهاش، والقيمة التربوية التعليمية..ومتى غاب عنصر من هذه العناصر، ضعفت المنفعة .

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لتناذج مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى

الضوء على نموذج قصصي واحد بعنوان "جحا في المدرسة"، للتعرف على الشخصية القصصية والإبداعية للكاتبة.

من حيث الشكل: تتكون السلسلة من تسع قصص: جحا في الحمام، جحا في المدرسة، جحا والقاضي، جحا عند السلطان جحا وحميره، جحا في المطعم، جحا واللص والحمار الضاحك، جحا في الحمام
هذه القصص من الحجم المتوسط، خالية من ترقيم للصفحات، رسومها ملوَّنة، مكتوبة بخط كبير، يحمل علامات الشكل.

من حيث البناء الفني: استعانت الكاتبة بقصص جحا الشعبية المضحكة التي يعرفها الجميع، فلم تأت بجديد من حيث الفكرة، وقد يتجلى الإبداع عندها في الصياغة الأدبية المطولة للقصة الشعبية.

وعند الحديث عن الصياغة الأدبية للقصة، تستوقفنا سمات لعل أهمها سلامة التعبير وجماله، وكذا فنية الحوار، حيث يتجلى أسلوب الكاتبة ضعيفا، يفتقر إلى الكثير من المعايير الجمالية مثل ذلك ما جاء في هذا المقطع:

«فعندما كان (جحا) تلميذا، كان يذهب كل يوم إلى المدرسة، لكنه مع ذلك لا يحب الدراسة ولا يبذل جهدا في تحسين نتائجه، لذلك يُغضب أباه وأمه، فهما يعرفان ما للدراسة والاجتهاد من قيمة عالية في حياة الإنسان وفي مستقبله، أما جحا فكان لا يأخذ الأمر أخذ الجدّ، وقد حدث له حوادث كثيرة، بل قُلّ تسبّب بنفسه في إزعاج معلمه، مما أثر في علاقته بالمدرسة»⁽¹⁾.*

⁽¹⁾ - جحا في المدرسة - آمنة أشلي - المكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع - لشرافة / الجزائر - 2006 - د/ص.

^(*) - لا وجود لترقيم للصفحات في هذه القصة.

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لتأدج مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى

نلاحظ في هذا المقطع وجود تراكيب غير سليمة وبحاجة إلى إعادة صياغة،
مثل ذلك:

«..يعرفان ما للدراسة و الإجتهداد من قيمة عالية..في مستقبله»: فيما يخص
مستقبله (مثلا)..
"أخذ الجدّ": مأخذ الجدّ..

"حدثت له حوادث": جرت له مغامرات..

"مما أثّر في علاقته بالمدرسة": تعبير كبير على مستوى الطفل نسبيا، وكان
الأنسب أن تراعي الكاتبة الفكرة السابقة لهذه الجملة وتردّدها بما يناسبها مثل: تسبّب
(جحا) بنفسه في إزعاج معلّمه، فلم ينج من التأنيب والعقاب ..هذا، مع الإشارة أنّ
الفقرة كلها مشوشة من حيث سلامة الصيغ وجمال التعبير.

فقرة أخرى من القصة تتجلى فيها أخطاء من نوع آخر:

«ذات بوم، طلبت المعلمة من التلاميذ أن يرسموا طائرا بأجنحته على غصن
شجرة مستعدا للطيران...»⁽¹⁾

ذكرت الكاتبة (المعلم) في بداية القصة ليصبح (المعلمة) في ثانيا القصة؛ وهذا
أمر مربك تربويا ونفسيا بالنسبة للقارئ الصغير..كما جاءت صيغة(طائرا بأجنحته)
الخاطئة؛ والصحيح: بجناحيه..

أورد نموذجا أخيرا يعزّز الحكم الذي أصدرناه على سلامة التعبير وجمال
الأسلوب عند الكاتبة آمنة أشلي وحاجتها إلى تطوير ملكاتها الفنيّة في هذا الجانب:
«قال جحا: وأصحابي، يرسمون مثلي؟ قالت المعلمة:

⁽¹⁾ - المصدر السابق - د/ ص.

- أصحابك يرسمون في الحصة الموالية، أما أنت فخذ راحتك، لكن لا تخبر أحدا باتفاقنا.

ذهب جحا إلى البيت، وأراد أن يتعلم الرسم، استعمل ورقا كثيرا، وكلما رسم شكلا لا يعجبه، فيرمي الورق، حتى تجمّع أمامه ورق كثير. عندما شاهد جحا هذا الجبل من الورق أمامه، رمى القلم من يده..¹

نسجل العديد من الملاحظات على هذا المقطع:

- استعمال كلمتي (قال وقالت)، وطرح البديل الأنسب: سأل وأجاب..

- الصيغة العامية (خذ راحتك)، وخطأ التعبير في: (لا تخبر أحدا باتفاقنا) عوض: عن اتفاقنا..

- ركاكة التعبير على نطاق الجملتين: حتى تجمّع أمامه ورق كثير

و استبدالها مثلا ب: حتى أتلّف ورقا كثيرا... وكذا جملة: . عندما شاهد جحا هذا الجبل من الورق أمامه، رمى القلم من يده.. وتعويضها مثلا ب: وحين وقع بصر جحا على كمية الورق الكبيرة الملقاة أرضا، رمى القلم من يده..

نكتفي بهذا القدر فيما يخص الكتابة آمنة أشلي، ولعل مستواها الإبداعي في مجال الكتابة للطفل في الجزائر اتضح بما فيه الكفاية.

3/ - "قصص جزائرية" هي السلسلة الثالثة لفاطمة لمثلث، التي تكتب بلغة

لا صلة لها بقواعد اللغة العربية السليمة، ناهيك عن الارتقاء إلى مستوى الإبداع في مجال الكتابة القصصية للطفل، وإنّ فاطمة لمثلث بالاتفاق مع الدار التي تنشر لها، جعلت عنوان السلسلة (قصص جزائرية)، وأصدرت منها تسع عناوين لحدّ الآن

¹-المصدر السابق -د/ ص.

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لنماذج مختارة)..... أ. لطيفة عثماني

بكل ما تحمله السلسلة من أخطاء على كل الأصعدة. وسأكتفي بسرد نماذج من قصصها "الشبه عامية" للطفل الجزائري، مع وضع سطر تحت أبرز وأشنع الأخطاء، وكذا بعض الإشارات متى استوجب الأمر ذلك..

1- نموذج من قصة "عذراء الغابة":

«إن سمية بنت يتيمة ولا يوجد احد (الألف لا تحمل الهمزة) يهتم به، فلهذا تذهب تارة على بيت عمي صالح البسيط الذي يوجد في الغابة لقد أخذه سكنا له.

إن سمية تذهب من حين لآخر إلى بيت عمي صالح، لما تعبت من هذا الترحال قرّرت أن تمكث مع عمي صالح ولكن كيف؟

في يوم من الأيام ذهبت إلى عمي صالح وسألته.

سمية: عمي صالح هل تقبلني ضيفة في مسكنك..؟

عمي صالح: بالطبع يا بنيتي أقبلك ولكن ماذا تعملي طيلة الوقت.. إنك سوف تكريه هذا المكان؟

سمية: لا يا عمي صالح لا تقل ها أنا أعتبرك مثل عائلتي تماما، توجد هناك حيوانات سوف أهتم بها..أريد أن أطلب منك طلبا هذا الطلب. (هكذا وردت العبارة)

هل تسمح لي بالذهاب معك إلى الغابة كل يوم..

عمي صالح: لا تقلق سوف أحضر لك كل شيء.. إنك تفرح بي كثيرا..⁽¹⁾

نماذج أخرى من قصة "درويش في القرية":

كان يا مكان في قديم الزمان، شيخ هرم يرتل القرآن..كان يطوف طول النهار

⁽¹⁾ -عذراء الغابة - فاطمة لمثلث - دار قرطبة-الجزائر - 2007 - ص 2-3

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لتنازع مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى

ويقول شعرا ويتكلم على المستعمر دون أن يدري ولا شيء عليه، ولكن كان درويشا كما يقال وأنه يعني ما يقول.. (هكذا وردت العبارة)

في يوم من الأيام قررت الجدة أن تكلم هذا الشيخ لكي تفهم منه الكلام الذي يضحك عليه كل الناس، وإثبات الوحيدة التي فهمت مغزى هذا الشيخ، ولماذا يتكلم ويعطي معلومات لا تخطر على بال أحد....⁽¹⁾

نموذج آخر لحوار مربك ولا معنى له:

«عمر: ماذا تعني أيها الشيخ الجليل؟»

الشيخ: إنّه يعني كل شيء، بان (الألف لا تحمل الهمزة) جدّتك قد فهمت كلامي، إثباتا قد حضرت إلى هنا لكي تسمع كلامي وتفهم أكثر وأكثر، لعلها تنبأ (الهمزة على الألف) النائمين في العسل. إن الجراد سوف يهجم بقوة ساحقة فلهذا يجب أن نحصن أنفسنا، ونحضر المبيدات لكي نقضي على هذا الجراد..

عمر: لماذا أيها الشيخ الجليل تقول هذا؟ من أين عرفت؟

الشيخ: يا حيّ يا قيوم هو الذي ينبأ الإنسان ويعطي له مخرجا...

إنّ الجزائر سوف يدخل فيها المستعمر (العامة)، ولكن مهما طال الزمن يخرج من بلادنا لأنه بلد طاهر.. إن الأبناء يتعلمون دروسا لأن المستقبل فيه صعوبات كثيرة من كل.... (هكذا جاء النص) أتمنى من الله أن ينجيننا من شر أعمالنا وأعمالهم..

وما كاد لأن يكمل كلامه هذا ذهب مهرولا السلام والسلام وهو يقول⁽²⁾.

و بعد، سيتبادر إلى ذهن أي قارئ من بلاد عربية شقيقة يقرأ لهذه " الكاتبة"،

⁽¹⁾- درويش في القرية - فاطمة لمثلث - دار قرطبة - الجزائر - 2006 - ص 2.

⁽²⁾- المصدر السابق - ص 6-7.

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لنماذج مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى

أن كاتب قصة الطفل في الجزائر لا يتعدى مستواه الفكري واللغوي والفني والجمالي والتربوي مستوى فاطمة لمثلث، التي أصدرت تسع قصص-إن لم تزد عليها-، بالمستوى نفسه، وعند دار النشر ذاتها التي من الواضح جدا أنها مستغنية عن لجنة قراءة تمنع صدور أعمال مثل هذه؛ متدنية المستوى ولا أدنى علاقة لها بالأدب والفكر والفن والإبداع.

وإنه ليببدو جليا، أن أهم ما نخلص إليه من خلال هذه الدراسة، هو:
- تعرض مجال الكتابة للطفل في الجزائر إلى أشخاص لا علاقة لهم أصلا بعالم الأدب، ناهيك عن الكتابة

والإبداع للطفل، وكأن هذا الأدب، كما يقول الدكتور عبد الفتاح أبو المعال «مركب سهل القيادة، لمن يريد، بغض النظر عن صفات الكاتب والكتابة للأطفال، حتى بلغ بعضهم القول إن الكتابة للأطفال أمر يستطيعه كل من يرغب فيه»¹.

- ضعف عنصر التشويق في غالب الأحيان، في حين أنه يلعب دورا حاسما في قراءة الطفل للقصة، بل إن أهميته أكثر من فائقة في قصص الصغار؛ ذلك «لأن الطفل مخلوق سريع الملل، قليل الصبر، فضلا عن أنه لا يعرف المجاملة، فعندما لا يعجبه الكتاب الذي بين يديه سرعان ما يطويه، أو يطوّح به، أو يمزق أوراقه نكايةً بمؤلفه ثقیل الدم. وإن أهمية هذا العنصر تزداد أكثر فأكثر في عصرنا الحاضر إذا أخذنا في الحسبان ما دخل إلى عالم الصغار من تأثير أجهزة الإعلام، وأنواع اللعب والتسلية، وكلها وسائل شديدة الجاذبية قد تصرفهم عن القصص وعن الكتب عامة صرفاً مؤقتاً

¹-أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم-د. عبد الفتاح أبو المعال- دار الشروق للنشر والتوزيع-ط1-عمان-الأردن-2005-ص12.

البناء الفكري والفني لقصة الطفل في الجزائر (دراسة تقويمية لنماذج مختارة)..... أ. لطيفة عثمانى
أو نهائيا⁽¹⁾.

-عدم التزام كاتب قصة الطفل بالمعايير الفنية والجمالية التي من شأنها أن تطور ملكة التذوق الفني للأدب لدى الطفل.

-كثرة الأخطاء اللغوية والتعبيرية في القصة الواحدة لعدم تحمل الكاتب مسؤولية إعادة قراءة ما كتب وتنقيح ما يجب تنقيحه؛ فيعلم الطفل الخطأ بدل أن يعلمه الصواب.

-غياب تحديد الفئة العمرية الموجه لها القصة، وغالبا ما يكون هذا الأمر دليلا على أنّ كاتب الطفل نفسه لا يعرف مراحل نمو الطفل وليس على علم نهائيا بعلم نفس الطفل أو علم نفس الاجتماع أو اللغة.

نخلص في الأخير، أن الكتابة للطفل في الجزائر لم تصل -عند بعض الكتاب-، إلى درجة النضج لعدم استنادها إلى الأسس اللازمة التي تؤهلها لتؤدي وظيفتها كما ينبغي، ولأن الأمر كذلك لا بدّ من قرارات جادة تستدرك الوضع قبل أن تستفحل هذه الظاهرة التي تسيء للطفل الجزائري وتعمل على تشويه عالمه البريء بدلا من إثرائه وبناءه على أسس أدبية وتربوية وتعليمية سليمة .

⁽¹⁾-مقال أساليب التشويق في القصة السورية- نجيب كيالي- موقع مؤسسة أنا ليند، البرنامج الإقليمي لأدب الأطفال العربي